مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

البعد الأنثربولوجي في توظيف الأسطورة والدين

– رواية الحوات والقصر لطاهر وطار – أنموذجا

The anthropological dimension in the employment of myth and religion - The story of the whawat and the palace by Taher Watar - A model

الدكتور نايل سفيان[1] *

[1]جامعة الجلفة

nailosama5@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/29 تاريخ القبول: 2021/03/11

ملخص :

سنحاول في هذا المقال إبراز بعض الأبعاد المبثوثة في رواية الطاهر وطار وذلك من خلال الاستعانة بالمقاربة الأنثروبولوجية للأدب، والتي تستند على جملة من التصورات النظرية والخلفيات المعرفية، من أبرزها حقل الأنثروبولوجيا التأويلية في استثمار الخيال وتقنيات الكتابة الأدبية في بناء الموضوعات الأنثروبولوجية، ليكون النص مجرد تأويل من بين تأويلات أخرى للوقائع المستقاة من

الميدان، بل قد يصل به الحال إلى أن يكون مجرد قصص متخيلة، بعدما تداعت فكرة الواقعية والموضوعية في حقل الأنثروبولوجيا، وتداخل الواقع بالموروث الحكائي العربي والعالمي بنوعيه الرسمي والشعبي الأسطوري، التي تشكل أحد أهم العوامل التي شيدت الرواية العربية المعاصرة معمارها الجديد عليه ، و تمثل الأسطورة والدين بوصفهما واحدة من أهم منابع هذا الموروث ، مرجعا أساسيا من المرجعيات النصية الرمزية والفنية. و يمكن القول أن عملية إنتاج الأدب تتداخل فيها عوامل يستفيد منه علم آخر وبالخصوص الانثربولوجيا التي تدرس التقنيات في مختلف المجتمعات الذي يدعو لوضع النص الأدبي في مجموع الانتاجات الأدبية التي يحاول الإنسان بواسطتها معرفة العالم ومنها معرفة ذاته وما يهمنا هنا هو كيفية توظيف الأسطورة والدين لخدمة المجتمع وحياة الناس ؟

الكلمات المفتاحية : الأنثربولوجيا ، الأسطورة ، الدين ، رواية الحوات والقصر ، طاهر وطار

*المؤلف المرسل: د .نايل سفيان ، الايميل: nailosama5@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract :

In this article, we will try to highlight some of the dimensions presented in Al-Taher Wattar's novel, through the use of the anthropological approach to literature, which is based on a set of theoretical conceptions and cognitive backgrounds, the most prominent of which is the field of hermeneutical anthropology in investing the imagination and literary writing techniques in building anthropological topics. For the text to be a mere interpretation among other interpretations of the facts drawn from the field. Rather, the situation may reach it to be just fictional stories, after the idea of realism and objectivity in the field of anthropology collapsed, and reality overlapped with the Arab and global narrative heritage in its two types, official and mythological, which constitute one of the most important factors. On which the contemporary Arab novel was based on its new architecture, and represents myth and religion as one of the most important sources of this legacy, an essential reference from the symbolic and artistic textual references. It can be said that the process of literature production is intertwined by factors that benefit from another science, especially anthropology that studies techniques in various societies, which calls for placing the literary text in the total literary productions through which man tries to know the world, including knowledge of himself. What concerns us here is how to use myth and religion to serve society and life People ?

Key words: Anthropology, Myth, Religion, Hawat and Qasr novel, Taher Wattar

1/ البعد الديني:

ا–التَّصوف:

يحاول الكاتب في هذا النَّص الروائي إشـراك القارئ في معالجة قضـايا مجتمعه للقضـاء على آفاته وأمراضـه ، وجلب اهتمام المتلقي نحو مشـاكل الحياة الاجتماعية والواقعية ، من منطلق الماضـي أي إلى تأصـيل مجتمعه الحديث بالوقوف على أصـوله التّراثية ، وبما أنَّنا هنا بصـدد كشـف مراجعة انتربولوجية ا، فانيّ أود الوقوف عند الاتجاه الصـوفي ، الذي اسـتمدت معظم المضـامين الروائية منه ، وقد اختير لهذا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العمل الروائي الشـكل القصـصـي التّراثي بكل ترميزا ته ومرجعياته وعليه يمكن القول أنَّ وطار في روايته الحوات والقصـر أبدى تقنية انتربولوجية والاسـتعانة بالموروث الديني " لينهل من التّراث منها نمطا إبداعيا متأصلا ، يقتنص الصورة والشكل واللغة والأجواء والعادات، إنَّها عودة المندهش إلى طقوسية الصوفين " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 104)

ويظهر التصوف جليا في القرية التي سماها " قرية التصوف" "يحق لكم يا سكان قرية التصوف أن تنزلوا أيديكم وأن . وكذلك ما يمثل "العدد سبعة" عند الصوفية وبعض المظاهر الأخرى البارزة التي يبدو عليها خاصية الصوفية ، وهذا ما صرح به الكاتب بصراحة في قوله : " وأحيانا تلاحظ شطحات رومانسية أو صـوفية في أعمالي وهذا من طبعي إذ توجد في –عرس بغل – في كل جلسـات –الحاج كيان– ، توجد في "الحوات والقصر" في كل ما يتعلق بفرقة نصرة علي الحوات ، أو قرية التصوف أو غير ذلك

وبما أنَّ الرواية هي اللسـان الناطق والمعبر عن هموم الناس ، فإنَّها عملت انتربولوجيا على التصـوف الذي يعتمد على الرمز ، وقد تجلى التَّصوف في الرواية في إفراد الكاتب قرية بأكملها سماها قرية التَّصوف وهي القرية التي تحمل من الرموز والمعاني الكثير ومما لاشـك فيه أنَّ الطاهر وطار أكثر تعبيرا في هذا المجال وخاصة على حال البطل علي الحوات حيث استعارت هذه الشخصية سمة الصبر التي هي من صفات الصـوفية كعدم إفشـاء السـر والحقيقة والوصـول إلى مرتبة الرؤية عبر الحجاب ، والصـبر على الصَّعاب والآلام للوصـول إلى الحقيقة وهذا ما تجلى في الرواية " الألم الكبير والحزن الأعظم ذروة التصـوف ، لم يكن علي الحوات في نفس الحزن الذي كانوا عليه ولم يبك أو يذرف ولو دمعة ، لقد استفاق من الإغماء فوجد نفسه في ساحة قرية التصوف محاطا بالعميان وعند رأسه خطيبته العذراء ، فاستجمع قواه وشجاعته وواجه الموقف " (وطار، صفحة 133/132).

ونجد لغة الصـوفية تختلف عن لغة الآخرين ، فالصـوفيون يعبرون بالبكاء والعويل للتغبير عن الآلام ، وقد تجلى هذا في الرواية " انتظر علي الحوات حتى هدأ عواء المتصـوفين لكي يتشـبث بيد العذراء وينهض " (وطار، الجزائر ،1984) كما تجلى عدم إفشـاء السـر في الرواية " هم علي الحوات أن يطلع العمى عن الحقيقة إلا انَّه رأى أنَّ من الخير ومن الصـفات الحسـنة ومن الطهارة والنقاوة ، أن لا يمس بأقدس شـيء نعم أقدس شيء " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 138) .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ب–الشخصية الدينية :

كانت الروح الدينية التي ميزت النَّص ، تمس بأبعادها جوانب الخطاب الروائي فكانت حتى أسماء الشخصيات في الرواية مأخوذة من سجل الأسماء الدينية الإسلامية وذات صلة بواقع الناس الاجتماعي والسياسي وهمومهم ، حيث كانت الشخصية الأساسية في هذه الرواية شخصية دينية " البطل الأساسي في رواية الحوات والقصر شخصية–تتصف بصفات أخلاقية عالية نلاحظ "الجانب الديني في بناء هذه الشخصية سواء في الاعتقادات أو في الصفات الخلقية أو في الأفعال والتصرفات وحتى اسم علي فدلالته دينية ". (بن جدو، 2011، صفحة 350) ولعل أول تجل لهذه الشخصية الدينية في الرواية هو أنَّ علي الحوات " ابتعد عن طريق الضلالة ، لم يسرق ، لم يكذب مرة ، لم يتعد على احد، لم يتكلم في عرض أو يتعرض بسوء لغيره ، كان مثال الشباب المستقيم". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 17)

ونجد أيضا تجل آخر من خلال توظيف شخصية علي بن طالب رضي الله عنه تلك الشخصية الاجتماعية الناقدة في اسم "علي " الحوات ، وهذا ما يقر به الروائي الطاهر وطار نفسه في إحدى حواراته ، وقد قال انَّه كان يضع في ذهنه شخصية الإمام علي رضي عنه " أما فيما يخص –علي الحوات – فكان من جملة الأبعاد التي وضعتها لشخصيته ، هي ربطه بتاريخنا وبالتالي محاولة اقتدائه بشخصية الإمام علي ابن طالب ، وحتى في مسار الرواية ينهزم – علي الحوات – كل مرة مثلما انهزم علي ابن طالب ولكن الهزيمة لعلي الحوات كانت الانتصار بالنسبة للقرى السبع". (رزاقي، 1988، صفحة 88) والملاحظ في الرواية أنَّ شخصية علي تتسم بصفة الصبر وهذا يظهر من خلال امتهانه لعملية الصيد التي تتطلب ذلك ونجد صفة الإيثار والتحمل الشديد للأذى على تحقيق الهدف مهما كانت الصعوبات ، وكل هذا من صفات عباد الله المؤمنين وهي صفات كانت في علي بن طالب رضي الله عنه.

ونجد أيضا توظيفا للشخصيات التّراثية مثل شخصيات إخوة يوسف–عليه السلام– الذين تآمروا عليه وحاولوا قتله. حيث نجد في الرواية تجل لها إذ نجد إخوته "عاقبوه شر عقاب ، انتزعوا منه يديه حتى تنتزع عنه صفته وانتزعوا لسانه ، حتى لا يقول الحقيقة التي رآها ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 245) **كما** تجلت تيمه تسامحه معهم في الرواية نجد "عقدت العزم على أن لا أتعرض لكم بسوء إطلاقا إخوتي أولا وقبل كل شيء ، فكيف لي أن أضركم " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 206). وهذه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أخلاق وميزة تميز بها النبي يوسف عليه السلام حينما سامحهم وقال لهم : ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين﴾سورة يوسف الآية 92.

وقد وظف الطاهر وطار ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ سورة الشعراء : الآية 23. فكان ضرب البحر بالعصا من طرف موسى عليه السلام فصار طريقا يابسا يسهل المشى عليه. وهذا ما تجلى في الرواية فعلي الحوات " ضرب بقصبته الماء بسبع ضربات فانشق من حوله وبان القعر " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 206).

وما يعزز ارتقاء الشخصية إلى مصاف الأنبياء تيمه الدموع الغزيرة إذ أنَّ "دموع علي الحوات أغرقت القصر في فيضان ، وأنَّ جدران القصر وكل صخوره تحولت إلى ملح وراحت تذوب وتذوب" (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 69).

ج- الإسراء والمعراج :

وظف الطاهر وطار حادثة الإسراء والمعراج في الرواية من خلال تجلي البراق بكل خلفياته التّراثية في النص حيث " يقال أنَّ علي الحوات مر على القرية يركب براقا ، السمكة المسحورة تحولت عند مدخل القرية إلى براق ذي رجل واحد وثلاثة أجنحة ، ركب على الحوات براقه ودخل قرية بني هرار كالفاتح " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 59).

وقد تجلت الواقعة ذاتها في القران الكريم يقول الله العزيز الحكيم جل جلاله :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (**1**) ﴾ سورة الإسراء الآية1.

2- تجليات التّراث الشّعبي:

أ-**الحكاية الشعبية :** تمثل الحكاية الشعبية في الأصل تجربة وقعت لبطل وبعد سلسلة من المغامرات والمخاطرات حيث " تلعب فيها الخوارق دورا بارزا ، تترجم هذا الدور من خلال حركية الجن والعفاريت والغول والشيطان والمغارات والوديان والحيوان المفترس منه والأليف الصديق ، والمساعد للبطل ، والوحش المعاكس للبطل ، والخاتم السحري المحول الجنة إلى جحيم والجحيم إلى جنة ، والطائر الذى يحلق بالبطل إلى عالم مجهول يقطع به إلى مسافات طويلة في برهة من الزمن " (سعيدي، 2007، صفحة 57)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

.وتعد رواية "الحوات والقصـــر" من أهم الروايات التي وظف فيها الكاتب الطاهر وطار العناصـــر التّراثية المختلفة من أهمها الحكاية الشعبية ، والحكاية الخرافية ، حيث تتناول الرواية شخصية البطل على الحوات الصياد الذي يبدو بسيطا في حياته بقرية التحفظ ، و يحترف الصيد الذي يتعلم منه الصبر ويجعله إنسانا محبا للخير رغم عداوة إخوته الأشـرار يكرههم أهل القرية ويحبون علي الحوات لأنه يوزع عليهم السـمك بدون مقابل ، إنَّه مثال الرجل الطيب النقي البطل الذي يمثل فئة اجتماعية " علي الحوات الشـــاب الطيب الذي شـذ عن إخوانه الثلاثة وعن كثير من أقاربه " (وطار، الجزائر ،1984 ، صـفحة 17) فقد كان علي الحوات يعيش في ذاكرة العامة لأنَّه يحمل همومهم ويتحدى عدوهم ، فهو يشـــبه البطل الذي يحلم به الناس ، ذلك لأنَّ البطل في التّراث الشـعبي يحمل خصـال حميدة مثل علي الحوات ، وفي المقابل المرأة الجميلة وهو ما يتجلى في الحسناء التي أعطاها أهل قرية التصوف إلى البطل لتصبح في الأخير زوجته وسلطانهم "علي الحوات شخصية شعبية مستلهمة من التّراث الشعبي ، لأنَّه يحمل جميع مواصفاتها خاصة ، وخاصـة في بسـاطته ومحبته للجميع ، مما جعل أهل القرى يتعلقون به ويتعاطفون معه ، ويمدحون سـيرته بشـيء من المغالاة " (بلحيا، 2000، صـفحة 17). لقد تجلت شـخصـية البطل الذي يفتدي الرعية بنفســه من اجل تحقيق العدل ، إذ تقطع يداه ، ويقطع لســانه ، إلا أنَّه يأبى التراجع عن مهمته، باعتبار أن البطل الشعبي إنَّما هو تجسيد لأمال الشعب وأحلامه وطموحاته.

ومنه فقد حاول الطاهر وطار أن يعطي بطله نوع من الخصـوصـية الشَّـعبية مثل القيَّم وروح الشّـخصـية " يكون المنبع الأصلي لعلي الحوات هو التّراث الشعبي والرؤية التجريدية لقضية العدالة والديمقراطية ... ومن هنا كانت هذه الشـخصـية لا تربط بالفرد العادي من الناحية الشـكلية أو الحركية ، بل ترتبط من الناحية الفكرية السياسية." (بويجرة، 2006، صفحة 125) وهذا كان حكم البطل علي الحوات " علي الحوات مدفوع بطبعه الحسـن لكل التصـرفات الحسـنة " (وطار، الجزائر ،1984 ، صـفحة 3) وهذا ما جعل علي الحوات يقوم بمهام كبيرة بتوحيد أهل القرى المتخاذلة ، فتتلاحم وتتوحد في النهاية لنصـــرته ويجعلون منه بطلا شعبيا فجاء في النص الروائي " لقد نصبوك في قلوبهم وليا من الأولياء ، بل رسولا من رسله ، بل إلها من الآلهة ، أنت وليهم وأنت نبيهم وسلطانهم " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 66).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فالطاهر وطار في روايته هذه يستحضر الحلم الاجتماعي لطبقات الناس، وهو ما يؤثر على استيعاب الرواية مظهر من مظاهر الحكاية الشعبية ، حيث يكتسي أهمية كبيرة في علاقته بالبطل ، فالبطل يمثل أساس الحلم باعتباره استشرافا للمستقبل ، وقد تجلى ذلك في قول احدهم : " نعلم من أنت يا علي الحوات ، أنت سمة عصر قريتكم ، وقاهر قرية بني هرار ، في ليلة واحدة يا علي الحوات رآك جميع أهل القرية في منامهم ، حلموا بك حلما واحدا يا علي الحوات . " (بويجرة، 2006، صفحة 130). ومما أعطى لشخصية علي الحوات بعدا سوسيولوجيا لافتا للنظر هو تقاطعها مع عدة شخصيات تاريخية وأسطورية تجسدت فيها من خلال البطولة الأكثر تجليا .

وهكذا يمكن القول أنَّ الكاتب استطاع من خلال توظيف الحكاية الشعبية أن يصهر الخرافة بالواقع ، وتصبح البطولة في هذا النَّص إشارات رمزية إيحائية أعطت النص بعدا سوسيولجيا للاصلاح.

ب–المعتقدات الشعبية :

والمعتقدات الشعبية التي تجلت في الرواية مثل العدد سبعة(7) فقد وجد تأثيره على النفوس ، إذ نجد مثلا الثعبان أو الغول ذا الرؤوس السبعة واللجوء إلى التسبيع وقاية من الحسد والعين ، ونجد كذلك عجائب الدَّنيا السَّبع ، حيث ارتبط العدد سبعة بالقصص الشعبية الخرافية وهي فعلا موجودة في حياة الناس مثل قصة السبعة أقزام وقصص أخرى يتكرر فيها العدد سبعة بكثرة ، وذلك ما ذكره بشير بويجرة لما قال " لما يحمله هذا العدد من دلالات لها ارتباط وثيق باعتقادات شعبية تظهر خاصة في دوران المريض حول ضريح "الولي " وتردده على الأماكن التي تعتقد فيها الشفاء سبع مرات ، وفي انتشاره بكثرة في القصص الشعبي والخرافي وهذا إن دل على شيء فإنَّما يدل على الدور البارز الذي يلعبه هذا العدد في الذاكرة الشعبية (بويجرة، 2006، صفحة 130)

وقد تجلى في الرواية أنَّ " علي الحوات بمروره على القرى السبع أعطى للحركة سلاحا كبيرا ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 149) وتجلى ذلك أيضا في القرى السبع التي كان يمر بها في طريقه إلى القصر ، فتجلى العدد7 بوضوح على كامل الرواية ، وهذا مما يدل على أنَّ رواية الحوات والقصر وظفت في بنائها التّراث الشعبي ومن عناصر هذا التّراث هي أنَّ أحداث الرواية مستمدة من القصص الشعبي الخرافي المحلي المتداول في بلادنا وفي كثير من البلدان العربية ، حيث الصراع الذي يقوم بين بطل محب للخير يحبه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الناس ، وبين أشرار يكنون العداوة لغيرهم ووجود إخوة في صف الأشرار بالشكل الموجود في الرواية هو حقيقة موجود في التّراث ، وخاصة في القصص والحكايات الشعبية. ومن العناصر التّراثية نجد الأعاجيب التي تجلت في الرواية وفي التفكير لدى أهل القرى التي جعلت منها خرافات مبالغ فيها ، والأجواء الشعبية بصفة عامة التي تظهر في الحوار والتصرف وفي الأماكن في ذكر القرية والغابات والشعاب ، كل هذا جعل من توظيف التّراث الشعبي له اثر كبير علي سير أحداث الرواية وفي تعميق العلاقات والمشاعر الإنسانية ، وهذا مما يؤكد أنَّ الكاتب ذو خبرة بالثقافة الشعبية التي استفاد منها في كتابة هذه الرواية الذي بها تعمق في أوساط المجتمعات والطبقات الكادحة .

3– التّراث الأدبي :

ا– التناص مع حكايات ألف ليلة وليلة: .

تستلهم رواية الحوات والقصر عالمها من مصادر حكائية متنوعة ، تتقاطع معها في تداخل يجعل من الصعب التَّمييز بين الرواية كجنس أدبي سردي والأسطورة والخرافة ، والقصة الشعبية والسيرة الشعبية ، مما يجعل هذه الرواية تنفتح على الواقع الراهن ، وهذا ما نجده في الرواية من خلال أسطورة التحول والانسلاخ في حكايات ألف ليلة وليلة ، حيث جاء في الليلة الأولى على لسان شهرزاد في حكاية التاجر والعفريت والشيوخ الثلاثة .

وجاء أيضا في الرواية " يقال أنَّ علي الحوات صار وهجا ، ارتفع إلى السماء ثم صار شمسا ، هبطت على القصر فتحول إلى دخان ازرق " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 267). ونلاحظ تعدد عمليات التحول ، وهذا يدل عن عملية " المطاوعة" في النص الروائي الذي جاء فيه أيضا " كل الرعية تحولوا من تلقاء أنفسهم إلى سلاطين ، بما في ذلك سكان القصر ، وأنَّ علي الحوات استعاد كل أعضائه المفقودة ، وتزوج العذراء المفقودة التي كانت بحق سلطانة السلطانات " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 267) .

وهذا التحول الذاتي والجماعي نجده أيضا في حكايات ألف ليلة وليلة (وطار، الجزائر ،1984)كما تجلى هذا التحول في الرواية **بقدرة** "علي الحوات " "ووثبت تقف في طرفه تدعوه لمضاجعتها ، فرفع أصبعه وحركه حركات متعددة وإذا بها تستعيد ثيابها وتقفز إلى الصف لتسير في الإيقاع العام ، ارتدت

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عجوز شمطاء ثياب عروس واتت بكرســـي اقتعدته في عرض الطريق ، وراحت تطلبه بيدها عندما اقترب منها نفخ عنها فالتهمتها نار زرقاء ، وتذاوبت دون أن تخلف أثرا " . (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 57)

2/ التّراث الأسطوري :

- أسطورة العدد سبعة:

حظي العدد سبعة باهتمام كبير لما له شأن عظيم في حضوره الواسع في التّراث الشرقي وعبر الأديان السماوية والوثنية والحكايات الخرافية لما يحمله من رموز وإيحاءات كما تهتم به الأنثربولوجيا من موضوعات ، مثل عدد أيام الأسبوع ، وهو الوحدة الكاملة الكبرى لحسبان الزمن ، كما نجده يتكرر بشكله في كثير من اللغات الإنسانية الكبيرة مثل العربية (7) والسريانية (شيبتو) ، والعبرية (شافعا) والانجليزية (sevn)والفرنسية (sept) ، وله شأن غريب عبر الأديان السماوية والوثنية والأساطير والطقوس والفولكلوريات على اختلافها عبر الأزمنة السحيقة " فلروما الرَّوابي السبع واليونان الحكماء السَّبعة وللفضاء الكواكب السبعة وللثُّريا النجوم السبع ، وللشمعدان الفاخر سبعة أغصان فيها تغرس سبعة شموع ، وفي كل الديانات السماوية الثلاث الموبقات السبع وفي اليهودية والمسيحية المزامير السبع والمسيحية الأسرار السبعة والكلمات السبع للمسيح وفي تاريخ الحضارة الإنسانية العجائب السبع وهلم وجرا . " (مرتاض ع.، صفحة 25) ومن هنا استحوذ العدد سبعة على مسحة أسطورية دون غيره من الأعداد ، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد المالك مرتاض " النزعة الأسطورية تقوم على فلكلورية العدد سبعة " (مرتاض ع.، صفحة 45). ولهذا العدد مكانة مرموقة في التفكير البدائي لجميع الشعوب خاصة لدى "المشعوذين الذين تعاملوا كثيرا مع هذا العدد ، والذي نجده يتكرر كثيرا في أسطورة النسور السبعة في قصة لقمان بن عاد ، حيث نجد كل شيء يتكرر سبع مرات : النسور السبعة والبيضات السبعة والأمثلة السبعة ، والهواتف السبعة...." . (مرتاض ع.، صفحة 45)

وفي القرآن الكريم حافظ هذا العدد على حضوره الديني يقول الله عز وجل ﴿وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ سورة يوسف الآية4.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وارتبط العدد سبعة بممارسات طقوسية إذ " نجد لهذا العدد في الإسلام شأنا أي شأن ، حيث يتكرر في كثير من الطقوس التي منها الحج ، حيث يكون الطواف بأنواعه الثلاثة حول الكعبة سبعة أشواط ، والرمي بسبع حصيات ، والسعي بين الصفا والمروة سبع مرات ويتردد العدد سبعة في القران الكريم أيضا كثيرا ، وبالحسبان : يتردد أربع وعشرين مرة ، ولم يحدث لأي عدد آخر أن يتردد مثله ولا حتى قاربه في التردد ، مما يجعل لحضوره القوى في القرآن الكريم دلالة خاصة " (مرتاض ع.، صفحة 25)ويبدو أنَّ لهذا العدد أهمية وقيمة إنسانية في تاريخ الأمم ، ولذلك فلم يستغن الطاهر وطار عن استعمال هدا العدد في الرواية ، الذي يحمل هذه الغرائبية فأولع بها ولعا شديدا ، وقد وظف العدد سبعة توظيفا مقصودا ليكسو النصر بحالة طقوسية تدل على أنَّ المجتمع يغلب عليه الاعتقاد ، وقد تعددت الأغراض في كل مرة وذلك لما "يحمله هذا العدد من دلالات لها ارتباط وثيق باعتقادات شعبية تظهر خاصة في دوران المريض حول ضريح الوالي وتردده ، على الأماكن التي يعتقد فيها الشفاء سبع مرات ، وفي انتشاره بكثرة في القصص الشعبي والخرافي وهذا إن دل عن شيء فإنَّما يدل على الدور البارز الذي يلعبه هذا العدد في الذاكرة الشعبية ، التي كان رافدها الأول الدين الإسلامي ...الذي أعطى بدوره أهمية خاصة لهذا العدد . " (بويجرة، 2006، صفحة 125)

وقد تجلى ذلك في الرواية " انتشرت أخبار علي الحوات في كامل القرى السبع الواقعة في طريق القصر " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 15)38. ونجد أيضا " هذه قرية بني هرار ، دعا عنها نبي لم يتمكن من تبليغ رسالته ألا يسكنها غير لقيط أثيم هرب من قومه ، فيه الرذائل السبع والعيوب السبع " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 54) ونجد أيضا"انتشرت أخبار علي الحوات في كامل القرى السبع الواقعة في طريق القصر "وقد تجلى العدد سبعة بوضوح على مجمل النص الروائي ، حيث شغل مساحة كبيرة وخلق أجواء أسطورية تكررت في النص الروائي واكسبه صفة الأسطورية.

ومنه فقد منح هذا المرجع الانتربولوجي للعدد سبعة توظيفا جماليا بكل طاقاته الرمزية في رسم الفضاء المكاني للنص ، اكسب الرواية مسحة أسطورية زادت في ما يريد الكاتب ايصاله للناس .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

– أسطورة اوزوريس :

تعد أسطورة اوزوريس أكثر أساطير الموت والانبعاث حضورا في الرواية العربية ، وتعد كذلك تجسيد للصراع بين الخير والشر ، وقد تجلت طبيعة الخير في على الحوات " علي الحوات الشاب الطيب الذي شذ عن إخوته الثلاثة وعن كثير من أقاربه ، فابتعد عن طريق الضـــلالة لم يســـرق يوما لم يكذب مرة .. كان مثال الشـاب المستقيم ...يترقبه كل سكان القرية ليوزع عليهم باسما صيده" (وطار، الجزائر ،1984 ، صـفحة 17)وتجلت هذه الطبيعة في شـخصـية اوزوريس " في الأسـطورة فهو فخر الفتيان ، المحبوب ذو الصـفات المحمودة من كمال خلقه وحميد سـجاياه .. " (شـعراوي، 2006، صـفحة 162)وتجلى هذا العنصر الأسطوري من خلال تيمه نزعة المساعدة التي تجسدت في – علي الحوات – ابن القرية البار الذي جعل من عمله لإطعام سـكان القرية ، فأصـبح الناس ينتظرونه"كما يقال: يترقبه كل سـكان القرية ليوزع عليهم باسما صـيده ، هذه سمكة وذاك اثنين وذاك ثلاثة وكلما مر به أحد ، أو اقترب منه سـأله عن عدد أفراد أسـرته وأعطى له مقدار من السـمك ..." (وطار، الجزائر ،1984 ، صـفحة 18) وهذه الصـفة الحميدة كذلك نجدها في أسطورة اوزوريس الذي "كان يعامل الناس معاملة حسنة ويساعدهم على شق القنوات ويخترع لهم الآلات ، التي تساعدهم في الزراعة " (شعراوي، 2006، صفحة 262) وكذلك تجلى توظيف هذه الشخصية في التسامح ، من شخصيتي اوزوريس وعلي الحوات فعلي الحوات رغم تنكيلهم به ، يجسـد تسـامحه فى حواره " أخي مهما كان الأمر ، وعلي الحوات لا يمكن أن يحقد على أخيه أبدا ، أبدا " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 225). ويتجلى أيضا في قوله " لقد عزمت العزم أن لا أتعرض لكم بسـوء إطلاقا ، انتم إخوتي أولا وقبل شـيء ، فكيف لي أن أضـركم ، ولا شـك أنَّكم تبتم ولم تبقوا شريرين مجرمين " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 248) فشخصية أوزوريس تتشابه مع شخصية علي الحوات في التســـامح والعفو "علي الحوات القلب النابض بالخير والطهر ، طعن في اعز ما يملك لقد حزت يده اليمنى حتى المرفق...إنَّ فقد علي الحوات يده اليمنى فماذا يبقى له ليكون حواتا

وتتكرر عملية البتر حين " اسـتيقظ علي الحوات على الضـجيج وعلى الألم في ذراعه اليسـرى ..قلبه يعتصـر ، وشـيء كالحز بالسـكين أو الكي بالنار ينبعث من ذراعه اليسـرى " (وطار، الجزائر ،1984 ، صـــفحة 227) وحين "انتزع لســـانه " ، ولما قال أخوه : " فلتفقأ عيناه " (وطار، الجزائر ،1984 ،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

صفحة 248) فهذا ما كان في أسطورة اوزوريس " الذي نجده تعرض للتعذيب من طرف أخيه "ست " الذي نجده قد " فتك به اوزوريس من جديد ، وقطع جسده إربا ، إربا إلى أربعة عشر قطعة ، وأرسل أتباعه يلقون كل جزء من جسم اوزوريس في إقليم من مصر الأربعة عشر ". (شعراوي، 2006، صفحة 262)

ويتجلى كذلك العنصر الأسطوري في قيمة المرأة إذ عندما رحل علي الحوات من قرية التصوف جعل من العذراء القائمة على أمور القرية إلى حين عودته

" ستتولى العذراء قيادتهم عندما أعود ، أساعدها على ذلك" (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 74) وهذا ما نجده في الأسطورة "عندما ذهب اوزوريس في رحلة الشرق ليعلم الناس ما علمه للمصريين... أناب عنه في الحكم زوجته ايزيس. " (شعراوي، 2006، صفحة 92). وتجلت هذه الأسطورة في تيمه الثار والانتقام ، حيث أرادت القرى السبع الانتقام لعلي الحوات فقرية التصوف تغيرت ولم تبق كما هي "لا يا علي الحوات ، قريتنا لم تبق قرية تصوف ، لقد أضحت قرية الثار للشرف ، سنثار لعذرانا ، سنثار لأعيننا " . (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 217)

وجاء كذلك في الرواية" أعلنوا في ساحة قرية التحفظ أنَّه لن يهدا لهم بال حتى ينتقموا لعلي الحوات..الانتقام الحقيقي هو ذلك الذي يكون من السلطان الظالم " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 254)

وتتجلى تيمة الثأر في أسطورة أوزوريس ، إذ جسدها "خوريس الذي استطاع أن ينتقم لأبيه بخوضه حربا ضد عمه "ست" وقتله وأصبح هو الملك الحاكم " (شعراوي، 2006، صفحة 62)

ومنه يتضح لنا تلاقي شخصية علي الحوات مع شخصية أوزوريس في مبدأ التضحية من أجل الآخرين ؛ وتجسيد للصراع بين الخير والشر.

– أسطورة "البطل " علي:

كلمة الحوات تشير إلى زمرة اجتماعية متعلقة بمهنة الصيد ، وهي الصفة التي نجدها متجلية في علي ، هذا الاسم العلم الذي يعتبر الحامل لهموم الناس ، فهو يحمل دلالات ورموز تشير لمعان كثيرة ، ولا يقف هذا العنصر الأسطوري عند اسم الشخصية المحورية ، بل يتعدى ذلك إلى صفاتها التي يمكن ان نعتبرها

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عناصـــر أســـطورية أبرزها تيمه التقديس ، ففي الرواية تتجلى هذه التيمه في مخاطبتهم لعلي الحوات " يا علي الحوات... لقد نصبوك في قلوبهم وليا من أولياء الله ، بل رسولا من رسله ، بل إلها من الآلهة ، أنت وليهم ، وأنت نبيهم وملكهم ، وسلطانهم وإلههم. ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 66)

وصفة الألوهية التي ألصقت بشخصية علي بن طالب –رضي الله عنه– من قبل بعض الفرق التي كانت تعتقد أنّه معصوم ، وأنَّه اله " أصناف من الغلاة زعموا أنَّ علياً حي لم يمت ففيه الجزء الإلهي ولا يجوز أن يستولي عليه وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق تبسمه: وأنَّه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الرض عدلاً كما ملئت جوراً." (امين، 1969 بيروت) حيث نجد شخصية علي رضي الله عنه من الشخصيات الإسلامية التي بلغ بعضها تقديسها ، فقد أفرط الشيعة في تعظيم الإمام علي كرم الله وجهه ، وقد تأسطرت هذه الشخصية تاريخيا بعامل الزمن واختلاطها بسير الأبطال والملاحم الشعبية ، حتى بلغت درجة التهويل ، وقد تجلى هذا التقديس في الرواية " إنَّ قرية بني هرار ، انحنت لأول مرة في تاريخها ، ولم يكن الانحناء لأحد سوى لعلي الحوات ...ويبدو لي أنَّ بني هرار مستعدون للتضحية في سبيل علي الحوات ، وبالتالي في سبيل القضية كلها. " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 151)وهي التي ارتبطت بالعنصر الأسطوري المتمثل في الإمام علي الذي جعلت منه الشيعة " أفضل الخلق في الآخرة وأعلاهم منزلة في الجنة وأفضل الخلق في الدنيا.." (امين، 1969 بيروت، صفحة 268) ويتجلى العنصر الأسطوري في الرواية " رفعت العذراء بصرها نحو علي الحوات فزادت انبهارا به..النور يشع من وجهه ، الحنان من عينيه ، البراءة تتراقص على جبينه " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 62).

ونجد أيضا "هناك من يرى في علي الحوات أصل النور الشعشعاني " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 153)

ومن خلال تيمة المناصرة "علي الحوات يستنصر انصروه ، علي الحوات هو انتم هو الماضي والحاضر والمستقبل " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 192).وهذا من مرجعيات الشيعة فهو عنصر أسطوري "فالشيعة نصرت الإمام على ضد معاوية فحاربت الأمويين معه". (امين، 1969 بيروت، صفحة 275)

ونجد وصف لعلي المنقذ بوصفه من طرف أهله وأهل قريته بالعصمة من الخطأ فعلي الحوات " علي الحوات الشاب الطيب ، الذي شذ عن إخوته ، وعن كثير من أقاربه ، لم يسرق لم يكذب مرة ، لم يتعد على

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

احد ، لم يثلب في عرض أو يتعرض بسوء لغيره ، كان مثال الشباب المستقيم ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 17)

– أسطورة الانتقال والاختفاء :

مما لا شك فيه أنَّ أسطورة انتقال الإنسان من العالم الأرضي المحسوس إلى عالم غيبي سواء كان هذا الانتقال إلى العالم السفلى أو إلى عالم السماوات ويكون هذا الانتقال إما بتدخل من قوى غيبية ، لحماية ذلك الإنسان المنتقل بفعل لعنّة تحققت به أو عقابا استحقه لخطيئة ارتكبها وقد ازدهرت وراجت هذه الأساطير في الحضارات الشرقية مثل الأسطورة السومرية التي تحكى انتقال الإله انليل إلى العالم السفلى عقابا له من الآلهة لاغتصابه الإلهة ننليل ، وسرعان ما تحاول اللحاق به إلى العالم السفلى " يرضخ انليل لمشيئة الآلهة ويبدأ رحلته نحو العالم الأسفل ولكن تنليل التي تمكن منها حب الإله الشاب تحلق به وتدركه عند بوابة الجحيم ". (السواح، دمشق ، 1993، صفحة 19)

وقد ذكرت أسطورة الانتقال إلى العالم السفلى في الحضارة المصرية مقترنة بأسطورة اوزوريس" أسطورة أوزوريس اله العالم السفلي ترمز إلى الصراع بين الخير في شخصية أوزوريس إله الخصب والنماء ، وبين الشر في شخصية أخيه ست الإله المستغل الجشع طمعا فى الحكم ،كما ترمز لفكرة البعث وبخاصة بعث الخير " (السواح، دمشق ، 1993، صفحة 40)

وقد تجلت هذه في الرواية كعنصر أسطوري حول مصير علي الحوات" يقال أن علي الحوات رفع من القصر بقوة خارقة " . (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 266)وجاء أيضا " يقال أنَّ علي الحوات ما إن فقئت عيناه حتى صار وهجا ارتفع إلى السماء ثم صار وهجا ، ارتفع إلى السماء ثم صار شمسا". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 168)

كما يتجلى العنصر الأسطوري المتمثل في الانتقال إلى العالم الآخر في تيمه الاختفاء المجسدة في النص الروائي في مناجاة العذراء لنفسها وهى تفكر بعلي الحوات إذ تقول " وهجا كان تفتق عنه قطب الأقطاب دار على الأرض سبع دورات محفوفا بالحوريات والجنيات طاف على القرى السبع تحول هو والتاج إلى وهج وارتفع إلى عنان السماء ، كانت العذراء تناجي نفسها... " . (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 168) كما تجلت في اختفاء علي الحوات عندما دخلت الجيوش السبع " بفضل السمكة التي حملته على

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ظهرها وهربت به ، يقال أنَّ علي الحوات ما إن فقئت عيناه حتى صار وهجا ارتفع إلى السماء ثم صار شمسا هبطت على القصر فتحول إلى دخان ازرق وعندما وصلت جيوش الانتقام لم نجد سوى الرماد ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 267)وجاء أيضا " يقال انه مر في وضح الشمس دون أن يراه احد تكور مثل غمامة واقتحم الشوارع ، ظن الناس انَّه زوبعة ، ظنوا أنَّه ثعبان مشعر يلتف في الرمال ويركب الريح السموم البعض لم يتفطن للزوبعة بينما البعض استغرب حدوثها في غير موسمها ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 57)

فالطاهر وطار استطاع أن يوظف عنصر الاختفاء والانتقال الأسطوري وهو مما عاد على النص بقيمة أدبية وجمالية تخدم فئات مهمشة اجتماعيا .

– أسطورة الانسلاخ والتغير :

شاعت أسطورة التغيير والانسلاخ في الثقافات القديمة وفي كثير من المجتمعات ، فنجد في حكايات ألف ليلة وليلة ورد في الليلة الأولى على لسان شهرزاد في حكاية التاجر والعفريت والشيوخ الثلاثة "التحول الذي تعرضت له عائلة الشيخ الأول ، حيث تحولت زوجته إلى بقرة ، وابنه الى عجل وابنة عمه الى غزالة ، والتحول الذي مس اخوي الشيخ الثاني ، اللذان أصبحا كلبين ، ومس زوجة الشيخ الثالث فصارت بغلة ..." (بيروت 1998، صفحة 78) وقد تأثر الأدباء الغربيين بالأسطورة الشرقية فقد جاء في كتاب أوفيد(ovid) نماذج من هذه الأساطير التي من خلالها يتم استبدال الأجسام بأجسام أخرى مثل " تحول تيريسياس الحكيم الشهير من رجل إلى امرأة بعد أن فرق بين ثعبان وأفعى كان يتواقعان ، وبقى عدة سنوات على تلك الحالة حتى وجد مرة ثانية الثعابين في الوضعية نفسها ففرقهما ثانية فاسترد رجولته "وقد تجلى في الرواية هذا التغير للأجسام إذ أنَّ " السمكة المسحورة تحولت عند مدخل القصر إلى براق ذي رجل واحد وثلاثة أجنحة " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 59) وجاء أيضا في النص الروائي " وصارت السمكة التي كانت في إحدى برك القصر حصانا بسبعة أجنحة ، امتطاه على الحوات وطار به إلى وادي الأبكار ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 265)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ونجد أيضا أنَّ التحول يرمز الى التحول الاجتماعي " يقال أنَّ علي الحوات صار وهجا ارتفع إلى السماء ثم صار شمسا ، هبطت على القصر فتحول إلى دخان ازرق ، وعندما وصلت جيوش الانتقام لم نجد سوى الرماد ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 267)

ومنه نلاحظ تعدد التحولات ، وهذا مما يدل يكشف عن عملية مطاوعة تعرض لها العنصر الأسطوري مما جعله يضفى على النص الطابع الأسطوري. كما نجد عملية المطاوعة بتغيير في طريقة التحويل "كل الرعية تحولوا من تلقاء أنفسهم إلى سلاطين ، بما في ذلك سكان القصر وأن علي الحوات استعاد كل أعضائه المفقودة " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 267)وهو تحول ذاتي بفعل المطاوعة التي فرضها الكاتب الطاهر على العنصر الأسطوري الأصلي .

كما تجلى العنصر الأسطوري مرتبطا بالقدرة الخارقة للبطل ذاته الذي يمارس فعل التحويل الذي تجلى في الرواية حينما " ارتدت عجوز شمطاء ثياب عروس وأتت بكرسي اقتعدته في عرض الطريق ، وراحت تطلبه بيدها ، عندما اقترب منها نفخ عنها فالتهمتها نار زرقاء وتذاوبت " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 57) ومنه نجد البطل يتحول ويحول مثلما فعل مع العجوز مما جعل النص الروائي يتسم بالعجائبية والنقد الهادف .

– أسطورة سيزيف :

في الرواية نجد أسطورة سيزيف "كان أحد أكثر الشخصيات الأسطورية الإغريقية ، حيث استطاع أن يخدع إله الموت ثانتوس وتكبيله ، مما أغضب كبير الآلهة زيوس فعاقبه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه فإذا وصل القمة تدحرجت إلى الوادي ، فيعود إلى إصعادها إلى القمة ، ويظل هكذا حتى الأبد فأصبح رمزالعذاب الأبدي (شعراوي، 2006، صفحة 263) ولعل أول تجل لهذه الأسطورة في تيمه تكرار الفعل دون جدوى حيث نجد البطل يتحرك في مسار خطى بين وادي الأبكار والقصر ، وهذا المسار يتكرر في كل مرة من أجل تحقيق هدف واحد ، وهو إيصال السمكة لجلالة السلطان غير أنَّه يعاقب بقسوة لأجل جرأته وسعيه الحثيث ، ففي المرة الأولى عوقب بقطع يده اليمنى ووجد نفسه مرميا في الساحة العامة للقرية الخامسة فيعيد الكرة ويصطاد سمكة فيعاقب مرة أخرى بقص يده اليسرى ، وفى المحاولة الثالثة بذهابه مع وفد من أهل القرى السبع يعاقب بقص لسانه وهكذا إلى أن يفقد اغلب

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أعضائه ، لكنه رغم ذلك يتحدى هذا الواقع وفي كل مرة يفشل وهذا ما يذكرنا ، بالبطل سيزيف الذي يسعى في كل مرة بحمل الصخرة العظيمة إلى قمة الجبل وحين يدنو منها تتدحرج الصخرة فوق السفح لتستقر في الأسفل ، فيعيد المحاولة ويبوء بالفشل ، فلا يبلغ القمة وكذلك كان الشأن بالنسبة لعلي الحوات ، الذي لم يتمكن بدوره للوصول إلى السلطان ، كما يتجلى هذا العنصر الأسطوري في تيمة المعاقبة بدل المكافأة ، إذ " انتشر بين كافة الرعية أنَّ علي الحوات عوقب بدل أن يجازى " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 131). وهذا ما نجده في أسطورة سيزيف بدل أن يجازى على مساعدته "لأسيوس" فعاقبته الآلهة. وقد قام الطاهر وطار بتطويع العنصر الأسطوري بحيث أنَّ تكرار الفعل قد جمع بين سيزيف وعلي الحوات ، فإنَّ الغاية من التكرار متباينة ، فعند سيزيف نجده عبثيا نهايته الفشل ، أما عند علي الحوات تكرار من أجل تحقيق هدف ، فإذا كان سيزيف قد استسلم إلى مأساته فانَّ علي الحوات قد صمم على هدفه في إبلاغ صوته وصوت الرعية ، " يا صاحب الجلالة ، لدي التماس ، الرعية في حالة تعيسة يا مولاي ، حرسك يظلم جيشك يهين ويقتل ، الصلة بينك وبينهم مقطوعة ..." (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 261). وإذا كان سيزيف عند ألبير كامو " قد وعى مأساته فأراد أن ينتصر على القدر برفع الصخرة كل مرة " (شعراوي، 2006، صفحة 262) فإنَّ سيزيف الطاهر وطار المتجسد في علي الحوات تجاوز المأساة وانتصر عليها فكانت معاناته انتصارا للقرى " ولكن الهزيمة لعلي الحوات كانت الانتصار بالنسبة للقرى السبع ". (رزاقي ع.، الجزائر 1988، صفحة 88)

وبين الأسطورة والواقع ترتقي الأسطورة إلى صيغة الرمز وبذلك تصبح معاناة سيزيف هي معاناة الإنسان في كل مكان وزمان.

– أسطورة بروميثيوس :

تجلى النقد الاجتماعي للسلطة في رواية الحوات والقصر لأسطورة بروميثيوس جزئيا من خلال بعض العناصر الأسطورية المشابهة " على الحوات يشبه أيضا المارد "بروميثيوس"الذي حكمت عليه الآلهة بالعذاب الأبدي لأنه أفشى سرا للبشر ". (بودية، الجزائر 2006، صفحة 249)

فقد جاءت أسطورة بروميثيوس كبطل أسطوري يوناني " يقال انَّه أنقذ الجنس البشرى من الفناء عندما أراد زوس إبادته بالطوفان فعلم ابنه طريقة صنع الطوفان التي أنجته من الغرق ، ويقال انَّه هو الذي خلق

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الإنسان من ماء وطين وقام بسرقة قبس من أشعة الشمس وخبأه في قصبة ثم أعطاه للإنسان ليشعل به النار ، فغضب الاله زوس لهذا الفعل وأمر بتقييده فوق صخرة وأرسل عليه نسرا يأكل من كبده كل يوم ، فينمو الكبد من جديد ليعود النسر لنهشه ودام هذا العذاب قرونا طويلة ". (بودية، الجزائر 2006، صفحة 247)

وقد وظف الطاهر وطار بعض سمات هذه الشخصية الأسطورية أبرزها تيمه التضحية من أجل الناس ، والتي اتصف بها علي الحوات " يترقبه كل سكان القرية ليوزع عليهم باسما صيده " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 18) 87 وهذا ما أكده الفارس الغريب الذي كان يساعده "كل القرى تتحذث عنك ذكرك في كل لسان مواليد هذه الأيام يطلق عليها اسمك " . (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 181)

ويعزز رمزية السلطة الانتهازية في الرواية إلى أسطورة بروميثيوس من خلال انتزاع زيوس واستيلاءه على أفضل كومة لحم من الناس ، وهذا ما يعكس صورة السلطة في الرواية مع سلطة زيوس .

وتعكس شخصية علي الحوات الذي يساعد الناس ، وصحبتهم له ، لمساعدتهم في معاشهم مع أسطورة بروميثيوس إذ " عمد بروميثيوس إلى منح الإنسان النار حتى يتفوق على الحيوان ، حيث تبنى بروميثيوس قضية الإنسان ضد الآلهة ، وسرق النار من السماء للإنسان " (شابيرو و هندريكس، دمشق 1999، صفحة 199) والنار في الأسطورة سبيل لطهي لحم القربان والحصول على الغذاء ، وهنا يلتقي النص مع الأسطورة كما تتجلى الأسطورة من خلال تيمه السر المسبب للعذاب ، إذ خاف إخوة على من اكتشاف أمرهم في القصر عن طريق على الحوات لذا " انتزعوا لسانه حتى لا يقول لكم الحقيقة التي رآها " . (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 245)

وحاول أصحاب القرى معرفة سر علي الحوات " لو أباح علي الحوات بجزء من الحقيقة بشيء ولو قليل من السر " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 141)

وكذلك تعذب بروميثيوس بسبب كتمانه للسر ، المتمثل في اسم المرأة التي ستنجب ولدا لزيوس يأخذ مكانه ، حيث يعتبر السر بالنسبة لزيوس وسيلة ضغط على الآلهة ، بينما يمثل السر عند علي الحوات أداة للضغط عليه ، أدت لقطع لسانه.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويتجلى التّراث الأسطوري في تيمه المغامرة التي كانت السبب الرئيس في العداوة بين الآلهة والإنسان في الأسطورة ، وبين الحاكم والمحكوم في الرواية حيث ورد على لسان مسعود شقيق علي الحوات : " انَّك منذ خرجت من قرية التحفظات ، وأنت تقحم أنفك فيما لا يعنيك" ونفس السبب أدى لتعذيب بروميثيوس الذي اختار الانحياز للبشر في تقسيم القربان وتفضيلهم على زيوس " ونشير إلى أنَّ وطار لم يكتف فقط باستغلال أسطورة بروميثيوس ، لتتقاطع في خطوطها مع شخصية بطله ، ولكنه اقتبس منها بعض الإسقاطات المباشرة ، التي تسلك إلى نصه بشكل واضح". (بودبية، الجزائر 2006، صفحة 248)

والتَّحدي والصَّبر في علي الحوات الذي صمد ولم يستسلم ، على الرغم مما لحق به من عذاب " لمس بمرفقه موضع القلب من صدره ، وودّ لو كان في إمكانه أن يقول لهم إلا هذا لن تنالوه مني ، أنَّه الموضع الوحيد الذي لن تقووا على تشويهه" (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 265). ولم يرضخ بروميثيوس في الأسطورة التي تروي أنَّه رغم العذاب كان يتحدى الاله زيوس .

استطاع علي الحوات بدخوله القصر أن يسرق المعرفة والحقيقة في استيلاء إخوته الأشرار على مراكز القصر ، أما في الأسطورة فيقوم بروميثيوس بسرقة النار المقدسة ويمد بها الإنسان ، حيث تعتبر النار رمز المعرفة والكفاح من أجل الاخرين.

– أسطورة أُوديب:

أجزاء من أسطورة أوديب التي تروى تعبر عن قيم الجماعة والمجتمع: " بطل يوناني ابن (جوكستة) والملك (لا يوس) حاكم التيبس وقد حذر أحد اليونانيين العرافين الملك من أنَّه عندئذ رمى الملك الطفل الرضيع في الجبال لتنهشه الذئاب غير أن سيولد له ابن يقتله ويتزوج أمه ...إحدى العائلات عثرت عليه وتكفلت بتربيته ، وعندما أصبح شابا نافعا قرر السفر إلى مدينة التيبس وبينما هو في الطريق تعارك مع أحد المسافرين وقتله ، فكان الضحية والده الملك ...وواصل سيره باتجاه المدينة ، وفي مدخلها واجهه الوحش الخرافي الذي يقف في المدينة واستطاع أوديب أن يقتله ، عندها قرر السكان تنصيبه ملكا وزوجوه الملكة أمه وحين اكتشف الحقيقة المفجعة ، فقأ عينيه هروبا من الفضيحة وانطلق هائما على وجهه تقوده ابنته (أنتيفون) في رحلة الظلام والشقاء " (بودبية، الجزائر 2006، صفحة 249). وأول تجلي لهذه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأسطورة في رواية "الحوات والقصر" هي تيمه الأقدار التي تحدد مسار الإنسان في الحياة وتحرك مجرياتها ولم يكن علي الحوات سوى صنيعة هذه الأقدار حيث ظل يعتقد دائما أنَّ " هنالك شيء تدبره الأقدار ينبغي أن نساعد جميعا على تحقيقه.." (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 25). ونجد أيضا " لكن الأقدار هي التي تدبر تحركاتي وتصرفاتي منذ لحظة النذر الأولى" 96 (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 164)ونجد في الأسطورة مصير(لايوس) عندما قررت الآلهة انَّه : " سيأتي اليوم الذي سينجب فيه لايوس طفلا ذكرا، ولسوف يقتل أباه ، ثم يتزوج أمه" (شعراوي، 2006، صفحة 242).كما حددت مصير أوديب ، إذ أخبر الإله في معبد دلفي بقدره " أيها الشاب اليافع ، ليس لدي ما أقوله لك سوى هذه الكلمات:سوف تقتل أباك ثم تتزوج أمك" (شعراوي، 2006، صفحة 242). فلم يستطع لايوس الهروب من قدره ولا أوديب تجنبه ، ولم يستطع علي الحوات الهروب من القدر.

كما تجلت بعض أجزاء أسطورة أوديب في الرواية من خلال التشابه في الحواجز التي تحول دون بلوغ القصر ، حيث واجه علي الحوات المراكز السبعة المكلفة بحراسة القصر ، ورئيس القصر وكبير المستشارين ،كما واجه أوديب أبا الهول ودخل المدينة كما دخل علي الحوات القصر عن طريق الرشوة ، التي طلبت منه في المركز " تلزمك أربعة ألاف قيراط ... المسالة هكذا ..." . (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 222)

وتجلت تيمة فقأ العينين في الرواية " فلتفقأ عيناه " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 264) ، وهي تيمه تحيلنا على الأسطورة الأصل التي تروى أنَّ أوديب فقأ عينيه بمجرد انكشاف الحقيقة ، ونلاحظ أنَّ أسطورة أوديب لم تتجل بكل تفاصيلها ، بل وظفت توظيفا عكسيا ، فإذا كان أوديب يسير بمشيئة الأقدار رغم هروبه منها ، وهو موقف سلبي فإن موقف علي الحوات كان أكثر ايجابية لأنه وعى هذه الأقدار وانسجم مع إرادتها " أيتها السمكة الجميلة لتكن مشيئة الأقدار " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 28). أما تيمة فقأ العينين فتم تحويرها إذ لم يكن فقأ عيني علي الحوات إراديا ، بل كان جريمة ارتكبها الأعداء في حقه بخلاف فقأ عيني أوديب التي تم بصفة إرادية بفعل الندم .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وبهذا يمكننا القول وبشكل عام أنَّ استحضار الأسطورة يمكن اعتباره بمثابة ملجأ وملاذ للإنسان من أجل الانتصار على هزائمه وواقعه المرير حيث يحاول الإنسان عن طريق السفر في الماضي والتخيل والاستذكار أن يعيد التوازن لنفسه مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وتبقى الأسطورة في المجتمعات المتخلفة حلاً جمالياً أخاذاً لحالة العبودية والكبت اللتان يعاني منهما الفرد ، وفي مجتمعاتنا العربية يبقى استحضار الأسطورة بمثابة استحضار للبطولة الغائبة .

– أسطورة "الحوريات "المقاتلات (الأمازونيات) :

قد ذكرت هذه الشخصيات الأسطورية في بعض كتابات الأدباء الغربيين حيث ذكرن " اكتفى البعض منهم بذكر الأمازونيات في مؤلفاتهم من أمثال بوكاتشيو (boccase) وكليست(kleist) ولورانس (d.h.lawrence) ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 162)

وقد وظّف الطاهر وطار بعض أجزاء هذه الأسطورة التاريخية " الذي يقع فريسة بين أيدي نساء المخصيين ينتهي إلى الهلاك " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 183). ونجد أيضا ما يرمز إلى ذلك " يمتصصن رجولته حتى تنتهين فيرحن يمتصصن دماءهن وينهشن لحمه ، حتى يبلغن قلبه ، فتأكله الواحدة منهن وهي تطلق الزغاريد ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 184) ويرمز الطاهر وطار من خلال هذا التوظيف إلى الانهزاميين الذين يرضون بالواقع السلبي ، ويتقبلون الظُّلم ولا يقفون في وجهه ، ويتضح هذا من خلال مخاطبة علي الحوات أهل القرية السادسة " يا أهل القرية السادسة يا أهل الطاعة والولاء " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 85) ونجد أيضا" إعلم يا علي الحوات أننا ما إن تقربنا من القصر بجاريتنا الحظية حتى تقربنا بكل حلائلنا وبناتنا ، جواري مباحات للسلطان ولحاشيته ، ولفرسانه ولحرسه ". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 86) وهنا الكاتب لا يدخر أي كلمة في نعت الانهزاميين ، فنجده يصفهم با لخصّي دلالة على قيمة الرجولة المهزومة ، وقد تجلى في الرواية أيضا توظيف لتيمه كره الرجال الموجودة عند الأمازونيات " الأمازونيات كلهن محاربات وهن معاديات للرجال." (خليل، بيروت 1995، صفحة 142) إلى درجة مواجهتهم بالسلاح وأن النساء في الرواية " صرن يحملن السلاح وينصبن الكمائن في الطرقات ، لقد استولين في المدة الأخيرة على كوكبة من رجال القصر الملثمين ، ولم يظهر لهم من يومها اثر ، بل إنَّ القرى المجاورة صارت تتعرض لغزوهن " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

108(182 وكلما وقع رجل في أيديهن " يمتصـــصـــن رجولته حتى تنتهي ، فيرحن يمتصـــصـــن دماءه وينهشن لحمه حتى يبلغن قلبه " (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 84)وهذه الصفات هي من أسطورة الأمازونيات اللاتي هن" يرفضـــن وجود الرجال بينهن ، إلا مرة واحدة في الســـنة بغية الإخصـــاب وكن يتخلصن من المواليد الذكور" . (خليل، بيروت 1995) (خليل، بيروت 1995، صفحة 84)

كما تتجلى بعض أجزاء الأسـطورة في الرواية مثل زوال الفوارق الجنسـية بين الرجال والنسـاء " لقد صـار امتلاك الرجولة أو استعادتها أو تقويتها ... إنَّ الأنوثة حين تهيج الهيجان الأكبر تتحول إلى ذكورة تعوض عن الذكورة إلى حد ما ..". (وطار، الجزائر ،1984 ، صفحة 90)

وهذا ما نجده في أسـطورة الأمازونيات حيث هن جنس بين الرجال والنسـاء ، ونجد في الأسـطورة رمزية أكل اللحم ، وتجلى ذلك في الرواية " تهتاج الأنوثة فتأكل النساء بعضـهن نيئا ، ويشـربن دمائهن.. " . والأمازونيات في الأســـطورة لا يتغذين إلا على اللحوم ، لكننا نعثر على مطاوعة جزئية ، إذ نجد أمازونيات الرواية يأكلن كل أنواع اللحوم ، حتى اللحم البشـــري فنجد الكاتب وظف بعض عناصـــر الأسـطورة ، وقد حذف منها الكثير وأخذ بعض ملامحها الرمزية للدّلالة على فئة اجتماعية منهزمة قابلة للطاعة والاستعمار .فقد كانت الأمازونيات أسطورة لمجتمع نسائي يخلو من الرجال يرمز فيه إلى قيم القمع والاستبداد المرتبطة أساسا بالسلطة ورفضها ، في حين أنَّ نساء القرية السادسة ومعاداتها للرجال رمز من رموز الرفض للظلم والتشبث بالحياة.

خاتمة:

وفي الختام يمكننا القول أن هذا النص الروائي فيه الكثير من القضايا التي درستها الانثربولوجيا ، وهي الأســاطير وعلاقة القرابة والزواج والحكم والعادات والتقاليد والطقوس الشـعبية والثقافية القديمة ، والروائي بتوظيفه لكل هذه الأبعاد الثقافية اسـتطاع أن يجمع بين ماهو شـفوي مكتوب ومنقول في ثقافتنا الشـعبية والرواية تتداخل فيه جوانب حياتية بالأســطورة وهنا تكمن قيمة وجمالية هذا النص الإبداعي الذي يعتبر وثيقة أنثربولوجية تتجلى من خلاله جوانب كثيرة من تراثنا .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مراجع البحث :

1. ادريس بودیبة. (الجزائر 2006). *الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار*. الجزائر: ،منشورات دار الآداب ،.
2. الطاهر بلحيا. (2000). *التراث الشعبي في الرواية الجزائرية*. ، الجزائر.
3. الطاهر وطار. (الجزائر ،1984). *الحوات والقصر*. ، الجزائر.
4. أحمد امين.. *فجر الاسلام*. بيروت: دار الكتاب العرب.
5. *الف ليلة وليلة*. (بيروت 1998). بيروت: دار مكتبة الحياة.
6. بشير بويجرة. (2006). *بنية الشخصية في الرواية الجزائرية*. الجزائر: منشورات دار الآداب.
7. جعفر بايوش. (2011). الجزائر.
8. خليل أحمد خليل. (بيروت 1995). *معجم المصطلحات الاسطورية* . بيروت: دار الفكر اللبناني.
9. عبد المالك مرتاض. *الميثيولوجيا عند العرب* -. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
10. عبد المالك مرتاض مرتاض. *عناصر التراث الشعبي في اللاز- دراسة المعتقدات والأمثال الشعبية*. الجزائر 2012: ديوان المطبوعات الجامعية.
11. عبد المعطي شعراوي. (2006). *اساطير اغريقية*. بيروت 2000: منشورات دار مكتبة الحياة - لبنان.
12. عبدالعالي رزاقي. (الجزائر 1988). حوار صحفي . *مجلة الجيل* ، 88.
13. فرج السواح. (دمشق ، 1993). *مغامرة العقل الأولى* (المجلد ط 10). دمشق: دار علاء الدين.
14. ماكش شابيرو و ودرودا هندريكس. (دمشق 1999). *معجم الاساطير الأدبية*. دمشق: دار علاء الدين.
15. محمد سعيدي. (2007). *الادب الشعبي بين النظرية والتطبيق*. الجزائر: دار موفيم للنشر .
16. موسى بن جدو. (2011). *الشخصية الدينية في روايات الطاهر وطار*. الجزائر.